أضواء على المسيحيّة
في جنوب الجزيرة العربيّة قبل الإسلام

صلاح أبو جوده اليسوعيّ *

مقدّمة

يُجمع المؤرّخون على أنّ المسيحيّة كانت منتشرةً في جنوب الجزيرة العربيّة في عصور ما قبل الإسلام. إلّا أنّ الغموض يكتنفُ طريقةَ دخول تلك الديانة إلى ذلك القسم من الجزيرة، وزمانَ دخولها إليه، وأماكنَ انتشارها فيه، وعقائدَها التي شاعت بين سكّانه.

غير أنّ الدراسات الحديثة التي عالجت هذا الموضوع، وجلّها بلغات أجنبيّة، كثيرة، وهي تلقي أضواء من شأنها أن تنير عدّة جوانب من تاريخ المسيحيّة الداكن في تلك المنطقة.

إنّ ما سَعَينا إليه، في هذه الدراسة، هو رسم لوحة لأوضاع مسيحيّة جنوب الجزيرة قبل الإسلام، مستفيدين ممّا توصّلت إليه الأبحاث الحديثة في هذا المضمار. وقد حرصنا على أن نشمل في دراستنا أهمّ التقاليد التي تتّصل بهذا الموضوع، فلم نُغيّب لا الأساطير ولا الروايات غير المثبّتة تاريخيًّا، إضافة إلى الأحداث التاريخيّة المؤكّدة، وما يحيط بعضها من صعوبات، إن لجهة تحديد تواريخها، أو توضيح اتّصالها بالتطوّرات الدينيّة والسياسيّة التي شهدها الجنوب والشرق عامّة.

(*) كلّيّة اللاهوت اليسوعيّة - باريس.

لائحة المختصرات

أ – الكتب والمقالات

AIGRAIN, *Arabie* (1922) = P. René AIGRAIN, «Arabie», in: D.H.G.E., t. III (1922), col. 1233-1253.

GLASER, *Skizze* II (1890) = GLASER, *Skizze der Geschichte und Geographie Arabiens*, t. II (Munich: 1890).

HECHAIME, *Cheikho* (1967) = P. Camille HECHAIME, *Louis Cheikho et son livre «Le christianisme et la littérature chrétienne en Arabie avant l'islam»*, coll. «Recherches», Institut de Lettres Orientales de Beyrouth (U.S.J.), 2e série, 38 (Beyrouth: 1967).

HIRSCHBERG, *Nestorian Sources* (1939-1949) = J. W. HIRSCHBERG, «Nestorian Sources of North-Arabian Traditions on the Establishement and Persecution of Christianity in Yemen», in: *Rocznik Orientalistyczny* (Krakow), 15 (1939-1949).

LOUNDINE, *Rapports* (1974) = A. G. LOUNDINE, «Sur les rapports entre l'Ethiopie et le Himyar du VI^e^ siècle», in: *IV Congresso Internazionale di Studi Etiopici*, Acc. Nazionale dei Lincei, n° 191 (Rome: 1974), p. 313-320.

MOBERG, *Himyarites* (1924) = A. MOBERG, *The Book of the Himyarites* («*Skrifter* utgivna av Kungl. Humanistika Vetenskapssamfundet; Lund», 7), (Lund: 1924). Text: p. 1-61; translation: p. CII-CXL VI.

RABBATH, *Orient chrétien* (1989) = Edmond RABBATH, *L'Orient chrétien à la veille de l'Islam* (Publication de l'Université Libanaise 2ème éd., Beyrouth: 1989).

RYCKMANS, *Inscriptions* (1953) = G. RYCKMANS, «Inscriptions sud-arabes», 10e série, in: *Le Muséon*, 66 (1953), p. 284-303.

RYCKMANS, *Christianisme en Arabie* (1964) = Jacques RYCKMANS, «Le christianisme en Arabie du Sud Préislamique», in: *L'Oriente christiano nella storia* Acad. Lincei, quaderno n° 62 (Rome: 1964), p; 413-453.

SCHER, *Histoire nestorienne* = Addaï SCHER, «Histoire nestorienne inédite (chronique de Se'ert), in: Patr. Or. t. IV,V, VII.

SHAHID, *Byzantium* (1989) = Irfan SHAHID, *Byzantium and the Arabs in the Fifth Century*, (Dumbarton Oaks, Washington: 1989).

TRIMINGHAM, *Christianity* (1990) = John Spencer TRIMINGHAM, *Christianity among Arabs in Pre-Islamic Times* (Librairie du Liban, Beyrouth: 1990).

إبن هشام، السيرة = عبد الملك ابن هشام، كتاب سيرة رسول الله، (طبعة فُستنفلد، غوتنغن: ١٨٥٨-١٨٥٩).

حتّي، تاريخ العرب (١٩٩٠) = فيليب حتّي، إدوارد جرجي، جبرائيل جبّور، تاريخ العرب، (الطبعة الثامنة، دار غندور، بيروت: ١٩٩٠).

حموي، معجم الإيمان (١٩٩٤) = الأب صبحي حموي اليسوعيّ، معجم الإيمان المسيحيّ (دار المشرق، بيروت: ١٩٩٤).

الطبري، تاريخ = أبو جعفر الطبري، تاريخ الرسل والملوك، (طبعة دي كويه: ١٨٧٩-١٨٨١).

الطبري، جامع = أبو جعفر الطبري، جامع البيان عن تأويل أيّ قرآن (دار الفكر، بيروت: ١٩٨٨).

مراجع عربيّة أخرى:

حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسيّ (القاهرة: ١٩٣٥).

جواد علي، المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام، (ج ١، دار العلم للملايين، بيروت: ١٩٦٨).

ب - المجموعات

E.I. = *Encyclopaedia of Islam* (1st edition).
E.I.2 = *Encyclopaedia of Islam* (2nd edition).
Patr. Or. = *Patrologia Orientalis.*
P.G. = J. P. MIGNE, éd., *Patrologia Graeca.*
P.L. = J. P. MIGNE, éd., *Patrologia Latina.*
D.H.G.E. = *Dictionnaire d'histoire et de géographie ecclésiastique.*

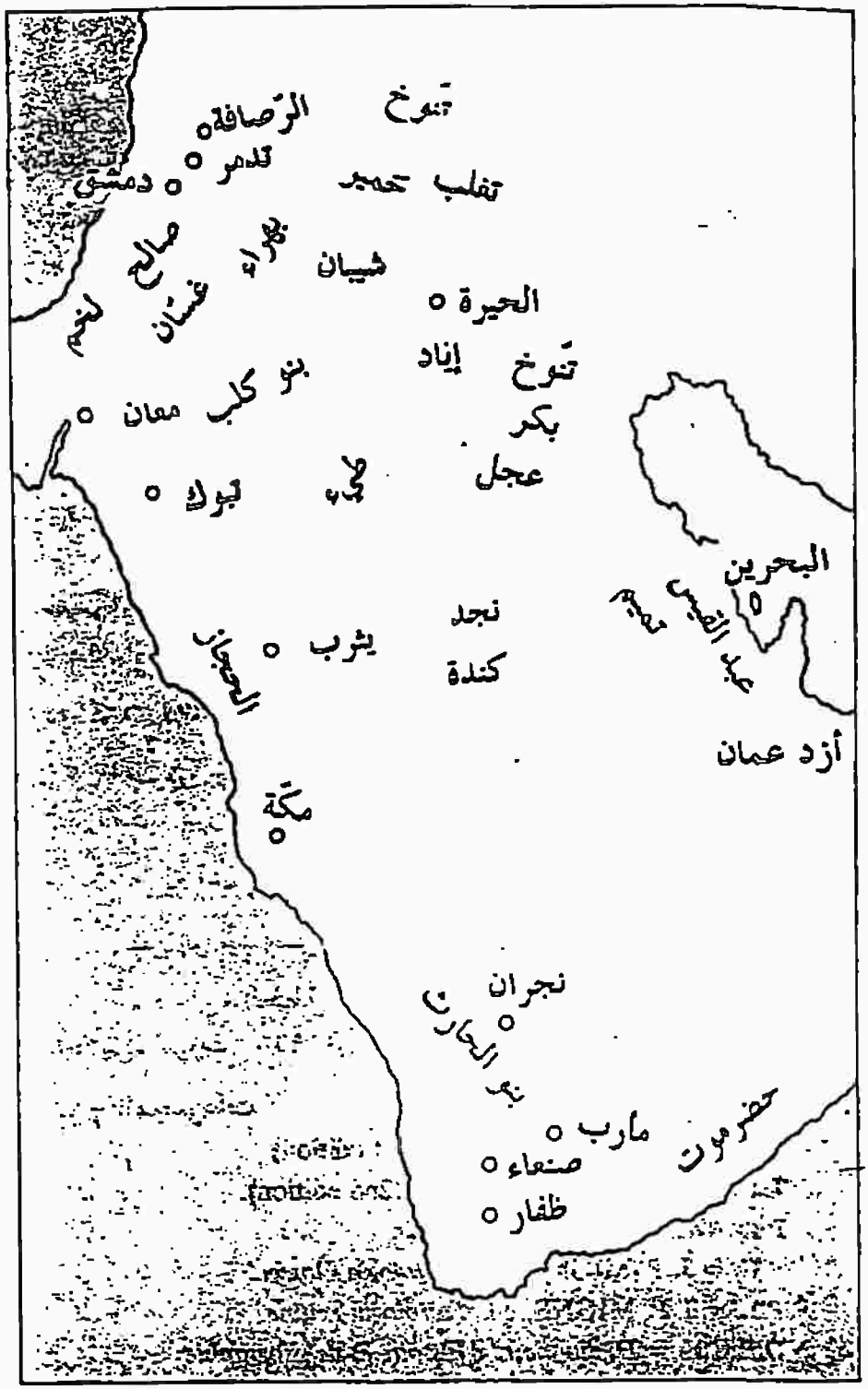

Source: HECHAIMÉ, *Cheikho* (1967), p. XXIII

المسيحية في جزيرة العرب قبل الإسلام

المسيحيّة في الجنوب

ثمّة تقاليد قديمة تتكلّم على تبشير مبكّر للمسيحيّة في جنوب الجزيرة والحبشة انطلاقًا ممّا في الكتاب المقدّس، بعهديه القديم والجديد، من إشارات إلى علاقات قامت منذ غابر العصور بين العرب واليهود، جعلت من دخول المسيحيّة إلى جنوب الجزيرة أمرًا بديهيًّا. ففي العهد القديم، على سبيل المثال، نجد في اللوائح السلاليّة بسفر التكوين (فصول ١٠ و١١ و٢٥) ما يدلّ على قرابة دمويّة بين أسلاف الإسرائيليّين وسكّان شمال الجزيرة وجنوبها على السواء. ومن بين المتحدّرين من عابِر، المتحدّر من سام، تُذكر أسماء عديدة في تكوين ١٠/ ٢٥-٢٩ تشبه أسماء سكّان قطنوا جنوب الجزيرة، أمثال يُقطان (= قَحطان)، وحَضرموت، وشَبَأ (= سَبَأ) وحُويلَة (= خُولان)[1] ويرد أيضًا أنّ السبئيّين الذين يعيشون في بلاد قاصية (يوئيل ٣/ ٨) كانوا تجّارًا (حزقيال ٢٥/ ٢٣ و٢٧/ ٢٢-٢٣)، يتاجرون بالذهب والبخور (أشعيا ٦٠/ ٦ وإرميا ٦/ ٢٠ ومزمور ٧١/ ١٥)، وبأفضل التوابل والحجارة الكريمة (حزقيال ٢٧/ ٢٢). ولكنّهم كانوا أيضًا قراصنة (أيّوب ١/ ١٥) وتجّار عبيد (يوئيل ٣/ ٨). فضلًا عن ذلك، تدخّل العرب، إبّان حكم الملوك في إسرائيل، في شؤون اليهود بمناسبات عديدة. على سبيل المثال، زارت ملكة شبأ (سبأ) سليمان، وحصل يوشافاط، ملك يهوذا، على جزية كبيرة من العرب[2] عبارة عن

---

(١) تجدر الإشارة إلى أنّ اسمَي مَعين وقطبان لا يُذكران في الكتاب المقدّس، في حين يُذكر اسم سبا على أنّه أخ ديدان (في تكوين ١٠/ ٧ كابن كوش، وفي تكوين ٢٥/ ٣ كابن لإبراهيم وقَنطورا). أنظر أيضًا حزقيال ٣٨/ ١٣).

(٢) إنّ اسم الجنس «عرب»، الذي يرد في العهد القديم، يشير إلى البدو الذين يسكنون الخيام (أشعيا ١٣/ ٢٠) في البادية (إرميا ٣/ ٢) إلى الشرق من فلسطين، لذا دعوا «بني الشرق» كما في (أشعيا ١١/ ١٤). وفي الواقع، لم يكن هنالك من تعريف خاصّ بسكّان الجزيرة. فقد عنت كلمة «عرب»، عندما استُعملت لأوّل مرّة في الكتابات الأشوريّة، البدو الذين يجوبون سهول سورية غرب الفرات. راجع في هذا الشأن:

TRIMINGHAM, *Christianity* (1990), p. 1-2.

كياش وتيوس (٢ أخبار ١٧/ ١١). وأغار العرب على المملكة وحتّى على عاصمة يهوذا في أثناء حكم يُورام (٢ أخبار ٢١/ ١٦-١٧ و٢٢/ ١).

وفي العهد الجديد، يرد اسم العرب في سفر الأعمال ٢/ ١١ وفي رسالة بولس إلى غلاطية ١/ ١٥-١٧. ولكنّ العرب المذكورين في العهد الجديد هم في الغالب من الأنباط، لا من عرب الجنوب، وعلى الأرجح أنّ القدّيس بولس اعتزل في الصحراء العربيّة إلى الشرق من دمشق حيث عاش الأنباط[٣]. على أنّ بعض التقاليد نقلت أنّ خازن ملكة الحبش، المذكور في سفر الأعمال ٨/ ٢٧-٣٨، بشّر بالمسيحيّة في «بلاد العرب السعيدة» قبل أن يستشهد[٤]. في حين أنّ تقاليد أخرى تنسب تبشير العرب والفنيقيّين معًا إلى يعقوب أخي الربّ[٥]. ولكنّ جميع هذه التقاليد تفتقر إلى الإثباتات التاريخيّة، وبالتالي لا يمكننا أن نسلّم بصحّتها[٦].

رواية أوسابيوس

يذكر أوسابيوس القيصريّ[٧] أنّ بانتينُس، رئيس مدرسة الإسكندريّة، علّم «الهنود» (الأحباش أو الإثيوبيّين)[٨] مبادئ

---

(٣) راجع في هذا الشأن:
TRIMINGHAM, *Christianity* (1990), p. 42-43.

(٤) *Le Synaxaire*, éd. Delehaye, col. 788; cf. AIGRAIN, *Arabie* (1922), col. 1161.

(٥) راجع:
La Diadascalie d'Addaï, IV, 1, traduction F. Nau, p. 231; cf. AIGRAIN, *Arabie* (1922), col. 1161.

(٦) نشير أيضًا إلى تقاليد مسيحيّة تعتبر أنّ ملوك المجوس الذين حضروا إلى بيت لحم وقت ميلاد السيّد المسيح قد قدموا من اليمن. راجع:
MIGNE, in: P. L., XXI, p. 230; cf. RABBATH, *Orient chrétien* (1989), p. 171 n. 91.
إنّ استعمال الكتاب المقدّس كمصدر للمعلومات التاريخيّة هو أمر يتطلّب حذرًا ودقّة بالغة، لأنّ هدف الكتاب المقدّس هو الإيمان لا العلم، ويجب ألّا يُخلط بين الحقلين. راجع:
HECHAIMÉ, *Cheikho* (1967), p. 61-63.

(٧) EUSEBE, *Histoire ecclésiastique*, V, X, 3, in: P. G., t. XX; cf. AIGRAIN, *Arabie* (1922), col. 1160.

(٨) ذكر القدّيس هيرونيمُس أنّ بانتينُس بشّر في الهند عند البرهمان، وفي ذلك إشارة=

المسيحيّة، وأنّه قام بذلك بناءً على طلب من ديمتريوس، بطريرك الإسكندريّة، الذي تسلّم طلبًا بهذا الشأن من أهل الحبشة أنفسهم. ويتابع أوسابيوس أنّ بانتينُس وجد، في أثناء قيامه بمهمّته، إنجيل القدّيس متّى بالعبريّة، قيل إنّ الرسول برتلماوس حمله معه في إحدى رحلاته التبشيريّة. وقد ذكر روفينُس وسقراط[٩] أنّ رسالة القدّيس برتلماوس شملت «الهند» المتاخمة للحبشة، الأمر الذي حمل بعضهم على الافتراض أنّ المقصود بتلك المنطقة هو القسم «السعيد» من الجزيرة العربيّة، أي جنوبها. وممّا عزّز صحّة هذا الافتراض وجود جماعات يهوديّة عديدة استقرّت بالجنوب عقب تدمير معبد أورشليم[١٠]، وهذا ما يبرّر أيضًا وجود إنجيل بالعبريّة. غير أنّ نصّ أوسابيوس، الذي هو في أساس الافتراض، يفتقر إلى الدقّة والموضوعيّة، فلا يسعنا التسليم بالتالي بصحّة هذه الروايات. وفي الواقع، أطلق الكتّاب الإغريق واللاتين اسم «الهند» و«الهنود» بدون تمييز على الفرتيّين والفارسيّين والميديّين والأحباش والليبيّين وسكّان جزيرة العرب. لذا لا نستطيع أن نجزم هل «الهند» التي يذكرها أوسابيوس هي جنوب الجزيرة أم لا. ومهما يكن من أمر، فالنقوش التي عُثر عليها في الجنوب، والتي ترتقي إلى القرون المسيحيّة الثلاثة الأوائل، لا تتضمّن أيّة إشارة إلى الديانة المسيحيّة، بل تُختم بأدعية وثنيّة[١١].

=إلى الهندوستان. غير أنّ المترجم اليوناني الذي نسبّه صفروتيوس قال إنّ الرسول كرز في الهند التي تدعوها «السعيدة». راجع:
AIGRAIN, *Arabie* (1922), col. 1161.

(٩) ثمّة اختلافات بين المؤرّخين في شأن الأسماء الجغرافيّة، راجع:
RUFIN, *Histoire ecclésiastique*, I, 9, in: P. L., t. XXI, col. 478 & SOCRATE, *Histoire ecclésiastique*, I, 9, in: P. G., t. LXVII, col. 125; cf. AIGRAIN, *Arabie* (1922), col. 1161.

(١٠) لا نملك تاريخًا محدّدًا عن دخول اليهوديّة إلى جنوب الجزيرة. ولكن ساد الاعتقاد أنّ وجودهم يرتقي إلى زمن تدمير الهيكل. وثمّة مقطع في التلمود يروي أنّه حوالى السنة ١٣٠م قام رجل دين يهوديّ اسمه عَقِيبه 'Aqiba بزيارة الجماعات اليهوديّة في الجزيرة. راجع:
MIGNE, P. G., 65, col. 482-486; cf. RYCKMANS, *Christianisme en Arabie* (1964), p. 418 n. 32.

(١١) RYCKMANS, *Christianisme en Arabie* (1964), p. 413.

رواية روفينُس

وهنالك أسطورة أخرى عن انتشار المسيحيّة في الجنوب يذكرها روفينُس[١٢] يجدر بنا أن نوردها. تبعًا لذلك المؤرّخ، وطّد فيلسوف من صور اسمه ميروبيوس العزم على زيارة «الهند البعيدة» بدافع الفضول، وقد رافقه في رحلته تلك، التي تمّت على عهد قسطنطين الكبير (٣١٢-٣٣٧)، شابّان اسمهما فرومنتيوس وإيديسيوس. وبعد أن قاموا برحلتهم الاستكشافيّة، توقّفوا في طريق عودتهم في مرفأ عمد مَن فيه على قتل ميروبيوس واقتياد الشابّين إلى ملكهم. وقد اعتبر الباحث غلاسر أنّ الملك المعنيّ هو ملك حِمْيَر، وأنّ تصرّف الحِمْيَريّين العدائيّ جاء كردّ فعل على انتهاك الرومان معاهدة أبرموها مع مملكتهم[١٣]. غير أنّ الملك اتّخذ منهما موقفًا وديًّا، فعيّن إيديسيوس خادمًا عنده وفرومنتيوس قيّمًا على خزانته. وعقب موت الملك، قرّر الرجلان العودة إلى صور، إلّا أنّ الملكة، التي تولّت الوصاية على العرش[١٤]، حالت دون تنفيذ رغبتهما، بل طلبت إليهما أن يقوما برعاية ابنها إلى حين بلوغه السنّ القانونيّة فيرتقي العرش. إستفاد فرومنتيوس من مركزه المرموق ليقوم ببحث عن بعض المسيحيّين الذين بلغه عنهم أنّهم تشتّتوا في أطراف المملكة، حتّى إذا ما وجدهم عاملهم بلطف وبنى لهم كنائس وأماكن عبادة.

حالما ارتقى الملك الشابّ العرش حتّى عاد إيديسيوس إلى صور حيث رُسم كاهنًا، في حين توجّه فرومنتيوس إلى الإسكندريّة لكي يُطلع

---

(١٢) RUFIN, *Histoire ecclésiastique*, I, 9, in: P. L., t. XXI, col. 478-480; cf. AIGRAIN, *Arabie* (1922), col. 1236.

(١٣) يرى الباحث غلاسر أنّ نقض المعاهدة يعود إلى سياسة حِمْيَر المتقلّبة إزاء أكسوم، وأنّ الملك الحِمْيَريّ كان حينذاك عَمْر (٣٢٥-٣٣٠)، الذي مال إلى اليهوديّة ولربّما مارسها. راجع:

GLASER, *Skizze* II (1890), p. 120 ss.

(١٤) يعتبر غلاسر أنّ الملكة المذكورة هي بِلْقِيس الشهيرة (الملكة ماكيدا Mâkêda في الأساطير الإثيوبيّة)، وأنّ أباها هَدْ - هَاد Had-had أزرها في إدارة شؤون المملكة. (راجع الحاشية السابقة).

بطريركها أثناسيوس على أوضاع المسيحيّين في المملكة التي عاش فيها. فما كان من أمر القدّيس أثناسيوس إلّا أن رسمه أسقفًا وأعاده إلى المملكة عينها ومعه عدد من الكهنة، فشهدت الكنيسة على أثر ذلك ازدهارًا كبيرًا[١٥].

في الواقع، بنى غلاسر افتراضه على أسطورة الملك اليتيم العربيّة، وحاول أن يماثل بين شخصيّاتها وشخصيّات رواية فرومنتيوس وإيديسيوس. ولكنّ المعطيات التي نستنتجها من عدّة مصادر، على غموضها[١٦]، تجعلنا نميل إلى الاعتقاد أنّ المقصود في أسطورة روفينُس هو تبشير الحبشة، لا بلاد حِمْيَر.

أوّلًا: دخول المسيحيّة بلاد حِمْيَر بحصر المعنى (غرب اليَمَن)

أ - نشأة المسيحيّة: بعثة القيصر قسطنطيوس الثاني

يروي المؤرّخ فيلوستورجيوس[١٧] أنّ القيصر قسطنطيوس الثاني (٣٣٧-٣٦١)، الذي أولى شؤون حِمْيَر والجنوب بشكل عامّ اهتمامًا كبيرًا، أرسل بعثة برئاسة الأسقف تيوفيلُس الهنديّ[١٨]، على الأرجح قبل

---

(١٥) تبعًا لـ Duchesne، رُسم فرومنتيوس أسقفًا على عهد قسطنطين، أو قليلًا قبل السنة ٣٤٠ أو قليلًا بعد السنة ٣٤٦. ذلك بأنّ أثناسيوس كان غائبًا عن الإسكندريّة في المدّة التي تفصل بين التاريخَين. وبما أنّ إقامة الرجلَين في البلاط الملكيّ ما كانت لتدوم أقلّ من ١٥ سنة، تكون رحلة ميروبيوس قد تمّت بين العام ٣٢٠ و٣٢٥. راجع:

L. DUCHESNE, *Les églises séparées* (2 édit., Paris: 1905), p. 311.

(١٦) إنّ التعابير الجغرافيّة في المصادر، كما سبق وأشرنا إليه، تنقصها الدقّة، ولكنّها، على الغالب، تدلّ على الحبشة. نجد على سبيل المثال، التعابير التالية:
Inde, Inde intérieure, Inde ultérieure, Inde ultime... Cf. AIGRAIN, *Arabie* (1922), col. 1237.

(١٧) PHILOSTORGE, *Histoire ecclésiastique*, III, 4, in: P. G. vol. 65, col. 481-485.

(١٨) أصله من جزيرة ديُس (سُقُطرى). كان في سقطرى منذ القديم سكّان إغريق منهم مسيحيّون. وفي مطلع القرن السادس، كان هؤلاء، أو على أقلّه قسم منهم، تابعين للجاثليق النسطوريّ. وقد كانوا شديدي الإخلاص للمسيحيّة حتّى إنّهم لم يتخلّوا عن إيمانهم في ذروة العهد الإسلاميّ، زمن الهمذانيّ وياقوت.

السنة ٣٥٦، الهدف منها إنشاء كنائس من أجل خدمة المواطنين البيزنطيّين المقيمين في تلك المملكة، وجلّهم من التجّار، ومحاولة نشر المسيحيّة. وتبعًا لرواية فيلوستورجيوس، كان السكّان الأصليّون حينها يمارسون الديانات الوثنيّة القديمة، باستثناء قلّة من اليهود.

أفلح تيوفيلُس في الحصول على إذن مَلكيكَرِب ملك الحِمْيَريّين، الذي اعتنق هو نفسه المسيحيّة[١٩]، ليبني ثلاث كنائس: كنيسة في العاصمة ظَفَار، وثانية في عدن، وثالثة في مدينة على مدخل الخليج الفارسيّ، ربّما مضيق هرمز[٢٠]. ويضيف المؤرّخ أنّ تيوفيلُس تابع مهمّته انطلاقًا من موطنه الأمّ، أي جزيرة سُقُطرى، فزار مناطق مجاورة أطلق عليها اسم «العربيّة الكبرى»، حيث وجد الأسقف فيها مسيحيّين على الدين القويم، أي المسيحيّة الأريوسيّة، ولكنّ عيبهم الوحيد كان جلوسهم وقت تلاوة الإنجيل. ومن «العربيّة الكبرى» ذهب تيوفيلُس إلى أكسوم. ومن المحتمل أن يكون هو نفسه من حمل رسالة قسطنطيوس إلى أميري الأكسوميّين أيْزَانَاس وسَيْزَاناس، ليطلب إليهما أن يرسلا فرمتيوس، أسقف أكسوم، ليعلن أمام الأريوسيّ جرجس الإسكندريّ أنّه لم يكن ينتمي إلى حزب أثناسيوس المشبوه[٢١].

---

(١٩) ثمّة مَن يفترض أنّ مَلْكِيكَرِب، وربّما أبوه ثَأران في أثناء حكمهما المشترك، اعتنقا المسيحيّة. وما يبرّر هذا الافتراض هو وجود مَلْكِيكَرِب في ظفار زمن زيارة تيوفيلُس، واكتشاف نقوش توحيديّة ترتقي إلى الزمن نفسه، ونهاية الوثنيّة في مأرب. راجع:
RYCKMANS, *Christianisme en Arabie* (1964), p. 419.

(٢٠) يُبرّر هذا الأصل البيزنطيّ للمسيحيّة في جنوب غرب اليمن استعمال كلمة «قليس»، التي تبدو مشتقّة من كلمة إكليسيا اليونانيّة. وقد حفرت تلك الكلمة، في نقشين حميريّين يعودان إلى السنة ٥٢٤، كنيسة ظفار وكنيسة المُخا. راجع:
RYCKMANS, *Inscriptions* (1953), p. 284-303 (Inscriptions Ry 507, 4 et Ry 403, 3,4).
من جهة أخرى، عُرف عن فيلوستورجيوس مبالغته في كلّ ما يختصّ بالأريوسيّة، لذا من المحتمل أن تكون الكنيسة الثالثة في هرمز في اختلاقه. راجع:
HECHAIMÉ, *Chaikho* (1967), p. 80-81.

(٢١) راجع:
ATHANASE, *Apol. ad Constantium*, XXXI, in: P. G., t. XXV, col. 636-637;=

تفصح رسالة تيوفيلُس، في الواقع، عن نزاعات عقائديّة وسياسيّة في آن واحد. فمن الناحية العقائديّة، كان الصراع على النفوذ متأجّجًا بين الأريوسيّة وأنصار أثناسيوس، ومن الناحية السياسيّة، كانت النزاعات المتكرّرة بين بيزنطية وفارس تهدّد الطرق التجاريّة البرّيّة التي تعبر الجزيرة. فكانت بالتالي مبادرة الإمبراطور قسطنتيوس ليبني كنائس في الجنوب، لا ليضمن حرّيّة العبادة للتجّار الرومان المقيمين هنالك فحسب، بل لتعزيز وجوده السياسيّ بصورة غير مباشرة وضمان حياد حِمْيَر إزاء الفرس، لا سيّما وأنّ الحجاز كان خاضعًا لملوك الحِيرَة[٢٢]، أتباع الفرس، والجماعات اليهوديّة في الحجاز تميل إليهم، وهذا يبرّر معارضة يهود الجنوب لمهمّة تيوفيلُس[٢٣].

ماذا أعطت رسالة تيوفيلُس من نتائج؟

إنّ المعلومات التي نستقيها من المصادر التاريخيّة الكنسيّة ومن الكتّاب العرب والنقوش الحِمْيَريّة، تجمع كلّها، على أنّ تأثير عمل تيوفيلُس كان مؤقّتًا. فليس هنالك من ذكر لتأسيس سلطة كنسيّة في حِمْيَر، وغاب كلّ ذكر لكنيسة عدن منذ ذلك الحين.

إنّ تشييد كنائس حيث سكن التجّار البيزنطيّون، واهتداء الملك، الذي كان نجاحًا غير متوقّع، ووضع حدّ للوثنيّة الرسميّة على الأقل، لم تمثّل بداية فعليّة لتبشير حِمْيَر. فالمسيحيّة أُخمدت في فترة لم تتعدّ القرن الواحد، في حين شهدت اليهوديّة نجاحًا كبيرًا، إذ سيطرت بصورة رسميّة

---

cf. AIGRAIN, *Arabie* (1922), col. 1238. =

(٢٢) كان الحجاز بكامله في زمن شابور الأوّل، وصولًا إلى تخوم نجران، خاضعًا لملوك الحيرة. ولم تلبث تلك الحالة، التي انقلبت لصالح الرومان في أواخر عهد امرىء القيس، أن عادت إلى سابق عهدها بعد موت هذا سنة ٣٢٨. راجع في شأن الحيرة: TRIMINGHAM, *Christianity* (1990), p. 188-201.

(٢٣) قامت الجماعات اليهوديّة الحضريّة في الحجاز بدور مهمّ في ظلّ الإدارة التابعة للفرس. فندرك بالتالي أنّ معارضة يهود الجنوب لمهمّة تيوفيلُس لم تقتصر على الصعيد الدينيّ، كما يذكر فيلوستورجيوس، بل شملت الصعيد السياسيّ أيضًا. راجع:

RYCKMANS, *Chrétiens en Arabie* (1964), p. 446-447.

في المملكة من حوالى السنة ٤٤٠ إلى ٥٢٥. فالتقاليد تتّفق عمومًا على أنّ ابن مَلْكِيكَرِب، التُّبّع أَسَد أبو كَرِب أو أسَد كامل (أبو كَرِب أسعد)، قد تهوّد[٢٤]. والملوك الذين خلفوه كانوا من اليهود، أو على أقلّه من مناصري اليهوديّة. وما يُعزّز هذا الاعتقاد جملة حقائق، أوّلها أنّ نقوش ذلك العصر التوحيديّة، وفيها ذكر «للرحمان»[٢٥]، تبيّن مدى انتشار اليهوديّة وتعاظم نفوذها. ثمّ إنّ بعض المصادر العربيّة تتكلّم على ملكٍ لاحقٍ لـ «أبو كرب»، اسمه عبد كُلال بن مثوَب، تحوّل إلى المسيحيّة بفضل مرسلٍ غسّانيّ، ولكنّه أخفى أمر اهتدائه خوفًا من شعبه. وما إن علم الحِمْيَريّون أنّ ملكهم ترك دينهم حتّى قتلوا الرجل الذي نصّره[٢٦]. إضافة إلى ذلك، يأتي ثيودوروس القارئ[٢٧] على ذكر شعب كان خاضعًا للفرس، يقطن ساحل الجنوب حيث عاشت الملكة التي زارت سليمان، وأنّ ذلك الشعب كان وثنيًّا. وجميع الدلائل تشير إلى أنّ المقصود بهذا الشعب هم الحِمْيَريّون. ولا عجب أن يكون النفوذ الفارسيّ قد قوي في مملكة حِمْيَر مع انتشار اليهوديّة، لا سيّما وأنّ الفرس، في بعض أوقات صراعهم مع البيزنطيّين، آثروا اليهوديّة على المسيحيّة، بما أنّهم استغلّوا

---

(٢٤) قام هذا الملك بحملات عديدة أوصلته حتّى العراق وأذربيجان. وبحسب الأسطورة، وصل بإحدى حملاته إلى يثرب في الحجاز. غير أنّ رجال الدين اليهود في تلك المدينة أقنعوا الملك بالعدول عن غزو المدينة التي صارت بعد قرنين مدينة النبيّ العربيّ. راجع: الطبري، تاريخ، ج ١، ص ٩٠١-٩٠٢. وهنالك مصادر أخرى (المصدر نفسه ص ٩٠٣-٩٠٤) تفيد أنّ المدينة كانت مكّة، وأنّ «أبو كَرِب» كان أوّل مَن ألبس الكعبة كسوته. ويقال إنّه أتى باثنين من رجال الدين اليهود إلى الجنوب، وهما هوّاده هو وشعبه. بيد أنّ الأسطورة إن دلّت على شيء فعلى صحّة تحوّل أبو كَرِب إلى اليهوديّة.

(٢٥) GLASER, *Skizze* II (1890), p. 542. Voir aussi RYCKMANS, *Christianisme en Arabie* (1964), p. 436.

(٢٦) كتب الطبري: «... فأخذ الملك عبد كلال بن مثوب مخافة أن يطمع في الملك غير أهل بيت المملكة، قوليه بسنّ وتجربة سياسيّة حسنة، وكان فيما ذكروا على دين النصرانيّة الأولى، وكان يسرّ ذلك من قومه، وكان الذي دعاه إليه رجل من غسّان قدم عليه من الشام، فوثبت حِمْيَر بالغسّانيّ فقتلته...»، تاريخ، ج ١، ص ٨٨١.

(٢٧) Théodore le LECTEUR, *Histoire ecclésiastique*, II, 58, in: MIGNE, P. G., t. 96, col. 212; cf. AIGRAIN, *Arabie* (1922), col. 1241.

الأوضاع الدينيّة في سبيل بلوغ أهدافهم السياسيّة.

يمكننا أن نعتبر إذًا، أنّ المسيحيّة، في القرن الخامس، كانت غائبة عن حِمْيَر بحصر المعنى، أي غرب اليَمَن، في حين أنّ اليهوديّة قويت فيها كما بقيت الوثنيّة شائعة بين الشعب، على ما نستنتجه من بعض المصادر. فكتاب أعمال عزقير[٢٨] الحبشيّ، يبيّن أنّ المسيحيّة لم تكن قد تأسّست بعد في حِمْيَر في منتصف القرن الخامس، ويذكر المؤرّخ يوحنّا دياكرينومنوس أنّ الحِمْيَريّين كانوا من اليهود ولم يعرفوا المسيحيّة إلّا على عهد الإمبراطور أنسطاس الأوّل (٤٩١-٥١٨)، إذ رُسم لهم أسقف هو سلفانُس[٢٩]. وفي الواقع، نادرًا ما تشير المصادر إلى علاقات قامت بين حِمْيَر وبيزنطية في الفترة الفاصلة بين عهد قسطنطيوس (ق٤) وعهد أنسطاس، الذي عاد وأولى الجنوب أهمّيّة في سياسته. غير أنّ إرسال الأسقف سلفانُس من بيزنطية إلى حِمْيَر يطرح أكثر من مسألة.

ب - مسألة الأسقف سلفانُس

ذكرنا في ما تقدّم أنّ اليهوديّة انتشرت في حِمْيَر إبّان القرن الخامس، في حين أنّ المسيحيّة غابت عنها (أي عن حِمْيَر بحصر المعنى). وقد رافق تلك التطوّرات اضطهادات، لم تخلُ من دوافع سياسيّة، طالت مسيحيّي نجران، وآلت إلى تفاقم الأوضاع حتّى الاضطهاد الكبير على عهد ذي نواس.

يُروى في كتاب أعمال عزقير، الذي أشرنا إليه أعلاه، أنّ ملك

---

(٢٨) هذا الكتاب هو، في الواقع، سير قدّيسين ولكن له أهمّيّة تاريخيّة كبيرة، بالرغم ممّا يتضمّنه من روايات أسطوريّة وخياليّة. وأهمّيّته بالنسبة إلينا تكمن في أنّه يزوّدنا بمعلومات وفيرة عن المسيحيّة في نجران إبّان النصف الثاني من القرن الخامس. سنعود إلى ذكر هذا الكتاب في سياق كلامنا على مسيحيّة نجران. يبقى أن نشير إلى أنّ الكتاب تُرجم إلى الإيطاليّة وطُبع في السنة ١٩٠١:
C. Conti ROSSINI, «Un documento sul cristianismo nello Iemen ai tempi del Re Sarahbil Yakkuf», *Rendiconti della R. Accademia dei Lincei, Classe di scienze morali, storiche e filologiche*, 19 ser. 5a (Rome, 1910), p. 705-750; cf. SHAHID, *Byzantium* (1989), p. 370 n. 170.

(٢٩) SHAHID, *Byzantium* (1989), p. 377 n. 190. Voir aussi MIGNE, P. G., t. 96, col. 211.

حِمْيَر شَرَحبِيل يكْوف، الذي ملك بعد منتصف القرن الخامس، أرسل في طلب المدعوّ عزقير، وكان كاهنًا ينشر المسيحيّة في نجران. وعندما أُحضر إليه في ظَفَار، طرح عليه أسئلة تتعلّق بإيمانه المسيحيّ، التي رأى الملكُ فيها ديانة جديدة لم تعرفها البلاد. ثمّ عاد الملك وأرسله ثانية إلى نجران حيث أُعدم. وهنالك رواية أُخرى ترد في كتاب الحِمْيَريّين، الذي وصلتنا أجزاء منه بالسريانيّة[٣٠]، تفيد أنّ مسيحيّي نجران تعرّضوا لاضطهاد سلطات حِمْيَر ممّا أدّى إلى تدخّل الحبش، وقد جاء ذلك التدخّل نتيجة مبادرة أسقف اسمه توما[٣١]، حَمَلَ قضيّة المسيحيّين إلى نجاشيّ الحبشة. ولعلّ تحرّك توما يتّصل برواية أُخرى عن استشهاد بولس[٣٢]، أوّل أسقف مونوفيزيّ على نجران، استُشهد حوالى السنة ٥٢٠ في ظَفَار[٣٣].

لماذا كانت سياسة سلطات حِمْيَر غير متساهلة إزاء مسيحيّة نجران؟ لا شكّ أنّ المسيحيّة المونوفيزيّة بدأت تقوى في نجران مع الأسقف بولس الأوّل، وكان لهذا نتيجتان: أوّلًا، خلق حالة توتّر بين اليهود والمسيحيّين في نجران، ممّا حمل يهود حِمْيَر على حثّ الملك على التدخّل، وثانيًا،

---

(٣٠) MOBERG, *Himyarites* (1924). Text: p. 1-61; translation: p. CII-CXLVI.

(٣١) لعلّه كان أسقفًا على منطقة قريبة من الجنوب، على سبيل المثال أدوليس (زولا اليوم) عبر البحر الأحمر.

(٣٢) تبعًا لـ كتاب الحميريّين (مذكور أعلاه، ص ٢٢ أ)، ورسالة سمعان البيت عرشميّ (المقطع ٤، المرجع أدناه)، توفّي بولس قبل الاضطهاد الكبير بعد أن قام بمهمّته بنجاح طوال مدّة كافية من الزمن. في شأن رسالة سمعان، فقد طُبعت ونُشرت بالإيطاليّة سنة ١٨٨١، راجع:
I. GUIDI, *La lettera di Simeone vescovo di Beth-Arsam sopra i martiri omeriti*, dans «Atti della R. Accademia dei Lincei», Memorie della cl. di sc. mor., stor. e filol. ser. 3a, 7, Roma 1881, p. 480-515; cf. RYCKMANS, *Christianisme en Arabie* (1964), p. 423 n. 52.

(٣٣) هنا ما يبّته شهيد بالاستناد إلى رسالة سمعان البيت عرشميّ الجليلة، راجع:
Irfan SHAHID, *The Martyrs of Najran* (Subsidia Hagiographica, 49), (Brussels: 1971). Text: p. III-XXVI, pl. IA-IXC; translation: p. 44-64.
وفي شأن صحّة نسبة هذه الرسالة «الجليلة» إلى سمعان البيت عرشميّ، راجع:
Irfan SHAHID, «The Martyrs of Najran», in: *Le Muséon*, 103 (1990), p. 151-153.

رأت سلطات حِمْيَر في مسيحيّة نجران المونوفيزيّة خطرًا قد يُضعف نفوذها ويعزّز نفوذ بيزنطية أو الحبشة. فكان بالتالي الاضطهاد المحدود[٣٤] الذي أدّى إلى تدخّل للنجاشيّ كان محصورًا في مقاطعة قبيلة الأشْعَر وميناتها المُخا، وفي المنطقة المقابلة لها في الداخل، أي ظَفَار. وعلى ما يبدو، دخلت المسيحيّة، في أعقاب ذٰلك، تلك المناطق[٣٥]. فهنالك دلائل قاطعة على وجود كنيستَين في مرفأ المُخا ومدينة ظَفَار عندما بدأ ذو نواس حربه.

من شأن هذه الأمور أن تنير قليلًا مسألة الأسقف سلفانُس، «أسقف الحِمْيَريّين»، عمّ المؤرّخ المونوفيزيّ يوحنّا ديوكرومينوس. إذ يبدو أنّ إرسال بيزنطية أسقفًا إلى حِمْيَر، التي كانت في حال عداء معها، والتي أظهرت عدم تسامح حيال المسيحيّين، لا سيّما في القرن الخامس، هي خطوة لا تخلو من الغرابة. فلا شكّ أنّ ظروفًا طرأت جعلت من وصول أسقف بيزنطيّ إلى حِمْيَر مقبول. يرى شهيد[٣٦]، عن حقّ، أنّ الأوضاع التي نتجت عن تدخّل النجاشيّ سمحت لبيزنطيّة بإرسال سلفانُس، ولربّما كان ذلك بناءً على طلب النجاشيّ نفسه. وصل سلفانُس إلى حِمْيَر في العقد الثاني من القرن السادس، وكان كرسيّ أسقفيّته إمّا في المُخا أو في

---

(٣٤) أرسل يعقوب السرّوجي (توفّي سنة ٥٢١) بالمناسبة رسالة تعزية إلى مسيحيّي نجران، وفي رسالته تلك لا يأتي على ذكر شهداء، ممّا حمل ركمانز على الاعتقاد بأنّ الاضطهاد كان غير دمويّ، وهذا قد يكون صحيحًا لولا رواية استشهاد الأسقف بولس التي ذكرناها، والتي، كما يقول شهيد، قد تكون على علاقة بمبادرة الأسقف توما وبالتالي بالتدخّل الحبشيّ. راجع:
RYCKMANS, *Christianisme en Arabie* (1964), p. 422-423.

(٣٥) يُعدُّ هذا التدخّل الثاني، إذ سبق للحبشيّين أن قاموا في القرن الرابع باحتلال قسم من ساحل حِمْيَر، حَمَلَ اسم «الحبشة» مثل إثيوبيا. غير أنّنا لا نعرف الكثير عن التدخّل الأوّل. راجع:
SHAHID, *Byzantium* (1989), p. 380 n. 199.

(٣٦) فضلًا عن ذلك، لا يُغيّب شهيد احتمال أن يكون سلفانُس أُرسل إلى نجران، ويفترض أنّ يوحنّا ديكرونومينوس، في كلامه على أسقف أُرسل إلى حِمْيَر، إنّما يشمل نجران. غير أنّ هذا الافتراض يحتاج إلى براهين. راجع:
SHAHID, *Byzantium* (1989), p. 378-379, 381.

ظَفَار[٣٧]. غير أنّنا نجهل ما الذي حصل معه بعد وصوله إلى حِمْيَر. مهما يكن من أمر، فقد دُمِّرت كلتا الكنيستين في أثناء حرب ذي نواس التي سنتكلّم عليها لاحقًا.

ثانيًا: دخول المسيحيّة نجران

لا نعلم الكثير عن بداية المسيحيّة في نجران، لا سيّما وأنّه لم نعثر على أيّة نقوش توحيديّة في تلك المنطقة. يذكر يوحنّا الأفسسيّ أنّه في السنة ٣٠٥ اهتدى سكّان تلك المنطقة إلى المسيحيّة بفضل امرأة أسيرة. غير أنّ هذه المعلومة مستقاة من سقراط[٣٨] الذي لا يذكر صراحة الحِمْيَريّين، بل الإيبريّين Ibériens. لذا لا تنطبق هذه المعلومة على الحِمْيَريّين، وبوجه خاصّ على النجرانيّين. يبقى الآن أن نتفحّص المصادر المتبقّية، وهي ثلاثة: عربيّة وسريانيّة وحبشيّة، لنحاول أن نكوّن صورة عن وضع مسيحيّة نجران.

أ - رواية فيمِيُون وعبدالله بن الثامر

تتألّف المصادر العربيّة أساسًا من روايات أسطوريّة. وتبعًا لإحدى هذه الروايات، التي يسردها ابن إسحاق[٣٩]، يعود الفضل في تأسيس أوّل جماعة مسيحيّة في نجران إلى شخص اسمه فَيْمِيُون (أو فِيمِيُون). كان هذا رجلًا تقيًّا زاهدًا يتجوّل في سورية، يتجنّب المدن الصاخبة. وكان بنّاءً يستعمل الطين في بناء المنازل. وكان يتنقّل ويمكث في القرى ويُعنى بنفسه، ولكنّه ما كان ليغادر إحداها، إلّا إن افتُضح أمره، حينذاك كان يتركها، ويذهب إلى غيرها، حيث لا يعرفه أحد. وما لبث أن انضمّ إليه

---

(٣٧) SHAHID, *Byzantium* (1989), p. 380.

(٣٨) كذلك ابن العبريّ الذي لا يذكر الحميريّين بل الإيبريّين، راجع:
SOCRATE, *Histoire ecclésiastique*, I, 20, in: P. G., t. 67, col. 129;
BARHEBRAEUS, *Chronicum syriacum* éd. Bedjan, p. 60; cf. AIGRAIN, *Arabie* (1922), col. 1241.

(٣٩) ابن هشام، السيرة، ج ١، ص ٢٠-٢٢، والطبري، تاريخ، ج ١، ص ٩٢٠-٩٢٢.

تلميذ اسمه صالح، أبدى له ميلًا كبيرًا. ثمّ أسرهما البدو ووصلوا بهما إلى نجران كعبدين. فاشترى فيمُيُّنَ رجلٌ شريف من نجران، وأعطاه بيتًا منفردًا ليسكن فيه.. ومن طريق معجزة أيبست نخلة النجرانيّين المقدّسة، هدى أخيرًا السكّان إلى الإيمان، فاعتنقوا حينذاك «دين عيسى بن مريم»[٤٠].

بيد أنّ هنالك تقليدًا آخر، يذكره ابن إسحاق أيضًا[٤١]، عقب قصّة فيمُيُّن، يدور حول عبدالله بن الثامر[٤٢]. وفي الواقع، أوجه الشبه بين الروايتين عديدة. كان عبدالله شابًّا يتعلّم السِّحْر نزولًا عند رغبة والديه. ولكنّ متوحّدًا التقاه وثناه عن غايته. فاهتدى عبدالله إلى المسيحيّة ولازم المتوحّد، الذي كان، بحسب وهب بن منبّه، فيمُيُّن نفسه. ثمّ كان أن شفى عبدالله رجلًا سقيمًا، فأثار بصنيعه هذا حفيظة الملك الذي بدأ يلتمس وسيلة لإهلاكه. فدفعه أوّلًا من قمّة جبل عالٍ، وإذ وجده سليمًا معافى، عاد ورماه في بحيرة. غير أنّ عبدالله خرج منها سالمًا. فما كان

---

(٤٠) جاء في السيرة: «... قال له (سيّده) فيمُيُّن: إنّما أنتم في باطل أنّ هذه النخلة لا تضرّ ولا تنفع ولو دعوتُ عليها إلهي الذي أعبده لأهلكها، هو الله وحده لا شريك له. قال: فقال له سيّدُهُ: فافعل فإنّك إن فعلتَ دخلنا في دينك وتركنا ما نحن عليه. قال: فقام فيمُيُّن فتطهّر وصلّى ركعتين ثمّ دعا الله عليها، فأرسل الله عزّ وجلّ ريحًا فَجَعَفَتْها من أصلها فألقتها. فآمنه عند ذلك أهل نجران على دينه، فحملهم على الشريعة من دين عيسى بن مريم»، ابن هشام، السيرة، ج ١، ص ٣٣.
من جهة أخرى، يبيّن تورياخ، في دراسة حديثة له، أنّ أسطورة فيمُيُّن صيغت بعقليّة سريانيّة فرضت مثال «رجل الله» الذي شاع في البرّ السوريّ. فمن خلال الاتّصال الوثيق بالعالم، وصلت المسيحيّة السريانيّة، بل وطريقة فَهْمِها الدين أيضًا، إلى نجران، وانعكس ذلك على نتاج أدبيّ، يمثل رواية فيمُيُّن. راجع:
TUBACH, «Das Anfänge des Christentums in Südarabien», in: *Parole de l'Orient*, 18 (1993), p. 101-111.

(٤١) ابن هشام، السيرة، ج ١، ص ٣٣-٣٤، والطبري، تاريخ، ج ١، ص ٩٢٤-٩٢٥.

(٤٢) أجلّ عبدالله في وادي نجران كوالي، راجع:
Joëlle BEAUCAMP & Christian ROBIN, «Le christianisme dans la Péninsule arabique d'après l'épigraphie et l'archéologie», in: *Hommages à Paul Lemerle* (Paris: 1981), 54 et surtout note 49.

من أمر عبدالله أمام عجز الملك إلّا أن أبلغه أنّه لن يكون له عليه من سلطان إلّا إن اعترف بوحدانيّة الله. فرضخ الملك لشرط عبدالله، ثمّ أخذ عصاه وقضى على عبدالله بضربة خفيفة. ولكنّ الملك سقط لوقته ميتًا. فسارع النجرانيّون حينذاك إلى اعتناق المسيحيّة[٤٣].

ويشير ركمانز[٤٤] إلى وجود نصّ مختلف لهذه الرواية في تقليد يرتقي إلى صُهَيب، وفيه أوجه شبه عديدة مع ما ورد في القرآن ٨٥/ ٤-٨ في شأن «أصحاب الأخدود». وفي تلك الرواية، لم يلاق الشابّ المؤمن حتفه إلّا بعد أن صُلب على نخلة ورُمي برمح يحمل اسم سيّده، وإنّما تمّ ذلك بناءً على تعليماته. أمّا الشعب، فقد اهتدى في أثر ذلك، ولكنّ الملك حفر حفرة أوقد فيها نارًا وألقى فيها من تنصّر[٤٥].

لقد أبرز موبرغ[٤٦] الطابع الأسطوريّ في هذه الروايات، وبرهن أنّ

---

(٤٣) جاء في السيرة: «... قال له (للملك) عبدالله بن الثامر: إنّك والله لا تقدر على قتلي حتّى توحّد الله، فتؤمن بما آمنتُ به. فإنّك إن فعلت سُلّطت عليّ فقتلتني. قال: فوحّد الله ذلك الملكُ، وشهدَ شهادة عبدالله بن الثامر، ثمّ ضربه بعصاة كانت في يده، فشجّه شجّة غير كبيرة فقتله. وهلك الملكُ مكانه، واستجمع أهلُ نجران على دين عبدالله بن الثامر، وكان على ما جاء به عيسى من الإنجيل وحُكمه»، ابن هشام، السيرة، ج ١، ص ٣٤.

(٤٤) RYCKMANS, *Christianisme en Arabie* (1964), p. 442.

(٤٥) كتب الطبري: «قال (الملكُ): لأقتلنّك، قال: ما أنتَ بقاتلي حتّى تصنع ما آمرك به. قال: فقال الغلامُ للملك: اجمع الناس في صعيدٍ واحدٍ، ثمّ اصلبني، ثمّ خذ سهمًا من كِنانتي، ثمّ ارمني وقل: باسم ربّ الغلام، فإنّك ستقتلني. قال: فجمع الناس في صعيدٍ [illegible]. قال: وصلبه وأخذ سهمًا من كِنانته، فوضعه في كبد القوس، ثمّ رمى فقال: باسم ربّ الغلام. فوقع السّهم في صُدْغ الغلام، فوضع يده هكذا على صدغه، ومات الغلام. فقال الناس: آمنّا بربّ الغلام. فقالوا للملك: كا صنعتَ، الذي كنتَ تحذر قد وقع، قد آمن الناسُ. فأمر بأفواه السِّكَك، فأُخدت. وخدّ الأخدود وضرم فيه النيران، وأحتمهم وقال: إن رجعوا وإلّا فالقوهم في النار. قال: فكانوا يلقونهم في النار»، الطبري، جامع، ج ١٥، ص ١٣٤.

(٤٦) A. MOBERG, *Über einige christliche Legenden in der islamischen Tradition*, (Lund: 1930), p. 15-35.

في الواقع، تنتمي الروايات، التي تأتي الكتابات العربيّة على ذكرها، إلى عالم الخرافات، وقلّما يشير إليها المؤرّخون. لذا يجب الرجوع إليها بحذر كبير.=

عناصر كثيرة منها استُقيت من الأسطورة الفارسيّة المعروفة يَزْدِن - بِثيون Yazdin - Péthion، التي تتمحور حول استشهاد بثيون سنة ٤٤٧، وأُضيف إليها عناصر أسطوريّة أخرى.

ب) روايةُ حنّان/حيّان

يبقى من المصادر العربيّة التي يجب أن نلمع إليها تاريخ سِعِرْت الأخباريّ النسطوريّ[٤٧]، وهو تاريخ دُرُن، بلا شكّ، سنة ١٠٤٠م، باللغة العربيّة، ولكن استنادًا إلى مصادر سريانيّة قديمة العهد لم يصلنا منها شيء.

وفقًا لرواية هذا الكتاب، كان هنالك في نجران، على عهد يزدجرد، تاجر شهير في المنطقة اسمه حنّان. قصد هذا مرّة القسطنطينيّة بدافع التجارة، ثمّ عاد إلى موطنه، ومنه ذهب إلى بلاد فارس. ولكنّه مرّ في الحِيرَة، حيث راود بعض المسيحيّين وتعرّف إلى معتقداتهم. وما لبث أن تعمّد وبقي في المدينة ردحًا من الزمن. ثمّ عاد إلى موطنه وأخذ يحثّ مواطنيه على اعتناق ديانته الجديدة. فعمّدَ أفرادَ عائلته وأشخاصًا من مدينته ومن المناطق المجاورة. وبعون بعضهم، قام بتبشير منطقة حِمْيَر ومحيطها القريب من أكسوم[٤٨]. ولاحقًا، وصل إلى العرش في تلك البلاد ملك يهوديّ اسمه مسروق[٤٩]، كانت والدته يهوديّة أُسرت في نصيبين واشتراها ملك يمنيّ. فلقّنت ابنها الديانة اليهوديّة. وعندما خلف هذا أباه على العرش، قتل الكثير من المسيحيّين.

يرى موبرغ[٥٠] أنّه من غير المستبعد أن تكون هذه الرواية قد استُقيت

راجع في هذا الشأن:

HECHAIMÉ, *Chaikho* (1967), p. 82-93.

(٤٧) SCHER, *Histoire nestorienne*, t. V, p. 330-331.

(٤٨) لا نعلم شيئًا عن نشاط حيّان في أرض حِمْيَر بحصر المعنى، ومن غير المستبعد أن يكون قد قام بعملٍ تبشيريّ فيها، ولكن من دون تحقيق نتائج كبيرة.

(٤٩) المقصود به يوسف أسأر يثأر أو أبا نواس.

(٥٠) على الغالب أنّ المقطع الصغير الذي يرد في تاريخ سعرت قد نُقل من الفصل الثاني=

من كتاب الحِمْيَريّين، إذ تقول إحدى الشهيدات، أمام ذي نواس، إنّها ابنة شخص اسمه «حيّان»[٥١]، هو مَن أدخل المسيحيّة إلى نجران وبلاد الحِمْيَريّين. فالاسمان، حنّان أو حيّان، لا يحولان دون مطابقة النصّين[٥٢]. فالاسمان شبيهان كتابيًّا، أكان ذلك في السريانيّة أم في العربيّة. ويذهب شهيد[٥٣] إلى اعتبار أنّ كتاب الحِمْيَريّين، الذي يستقي منه تاريخ سِمِرْت، يؤكّد أنّ حيّان هو اسم رجل عربيّ من مدينة نجران، كما وأنّه اسم أُثبت أنّه عربيّ قبل الإسلام وبعده. ومن جهة أخرى، حيّان هو اسم مسيحيّ، بل هو اسم يوحنّا وقد عُرِّب على وزن «فَعّال»، ويلائم تمامًا مهتدٍ اعتنق المسيحيّة واعتمد في الحِيرَة.

بناءً على ما تقدّم، يمكننا أن نعتبر أنّ المسيحيّة بدأت في نجران بواسطة حيّان في وقت ما من عهد الملك الساسانيّ يزدجرد الأوّل (٣٩٩-٤٢٠)[٥٤].

=من كتاب الحميريّين، وهو فصل لم يصلنا منه سوى عنوانه: «قصّة حول بداية نشر المسيحيّة في بلاد الحميريّين». وكما أنّ هذا المقطع من تاريخ سمرت يملأ الفراغ الذي تركه فقدان نصّ الفصل الثاني من كتاب الحميريّين، فكذلك يترسّع الفصل ٢١ من هذا الكتاب بالقصّة القصيرة في تاريخ سمرت المتّصلة باستشهاد حَبصَا.
Cf. MOBERG, *Himyarites* (1924), p. 31a & 32b. SHAHID, *Byzantium* (1989), p. 361 n. 135.

(٥١) «أنا ابنة حيّان من عائلة حيّان الكبير، الذي أدخل ربُّنا عن طريقه المسيحيّة إلى أرضنا. إلّا أنّ والدي أحرق مجمعكم في ما مضى»، راجع:
MOBERG, *Himyarites* (1924), p. CXXIIIL. 32b, ligne 6-10.

(٥٢) MOBERG, *Himyarites* (1924), p. 50.

(٥٣) SHAHID, *Byzantium* (1989), p. 362 & n. 138.

(٥٤) ظنّ بعضهم أنّ الملك المقصود هو يزدجُرد الثاني (٤٣٨-٤٥٧)، لا الأوّل، وبالتالي يكون دخول المسيحيّة تمّ في النصف الثاني من القرن الخامس. وقد بُني هذا الاستنتاج على حجّتين: أ) لا يأتي النصّ على تحديد مَن هو الملك، بل يُذكر فيه «يزدجرد» فحسب، وب) لا بدّ أنّ قرنًا كاملًا فصل بين حيّان المذكور في كتاب الحميريّين وحفيدته حبصا التي استُشهدت إبّان اضطهاد ذي نواس. غير أنّ شهيد دحض هذه الحجج وبيّن بما لا يقبل الجدل أنّ الملك هو يزدجرد الأوّل. فهو يشير إلى أنّه من غير الواضح ما إذا كان حيّان هو جدّ حبصا، بل لعلّه كان أبا جدّها. فهي لا تذكر صراحة أنّها ابنة حيّان، بل عبارة «الكبير» تدخل في السياق كعنصر في السلالة. وبالتالي، يمكن الافتراض أنّ حيّان، أباها، لم يكن ابن حيّان المعلّم،=

أمّا في شأن انتماء حيّان العقائديّ، فانطلاقًا من اعتبار أنّ الملك المذكور في تاريخ سِيرْت هو يزدجرد الثاني، افترض هِرشبرغ[٥٥] أنّ حيّان كان نسطوريًّا، وبالتالي يكون قد أدخل إلى نجران المسيحيّة النسطوريّة. غير أنّ ركمانز[٥٦] يخالفه الرأي حول هذا الموضوع، ويفترض أنّه من غير الممكن أن يكون حيّان/حنّان نسطوريًّا، وهو، في الوقت نفسه، مَن أدخل المسيحيّة إلى نجران، وجدّ إحدى الشهيدات التي كانت، بلا شكّ، مونوفيزيّة. وهذا ما حمل ركمانز، في آخر الأمر، إلى اعتبار حنّان المذكور في تاريخ سِيرْت هو غير حيّان الوارد اسمه في كتاب الحِمْيَريّين. وهذا افتراض ساقط، كما أشرنا إليه آنفًا.

فضلًا عن ذلك، كون الملك الساسانيّ هو يزدجرد الأوّل، لا يزدجرد الثاني، يفتح في المجال إلى استنتاجات مغايرة في شأن انتماء حيّان العقائديّ، كما يبيّنه شهيد[٥٧]. فحيّان زار الحِيرَة[٥٨] إبّان حكم يزدجرد الأوّل، أي قبل انعقاد مجمع أفسس (٤٣١)، الذي انتشرت النسطوريّة في أعقابه، وقبل انعقاد المجمع الخلقيدونيّ (٤٥١)، الذي سادت من بعده المونوفيزيّة كعقيدة أساسيّة في الشرق. ولا يغربنّ عن بالنا

=ولربّما كان حفيده، لا سيّما وأنّ «السمّ» هي بالأكثر بين الجدّ والحفيد، لا بين الأب والابن. راجع:

SHAHID, *Byzantium* (1989), p. 362-363.

(٥٥) HIRSCHBERG, *Nestorian Sources* (1939-1949).

(٥٦) RYCKMANS, *Christianisme en Arabie* (1964), p. 450-451.

(٥٧) SHAHID, *Byzantium* (1989), p. 363-364.

(٥٨) قد نتساءل عن السبب الذي جعل حيّان يهتدي في الحيرة، لا في القسطنطينيّة. يعطي شهيد سببين وجيهين: أ. كانت المسيحيّة قد تأسّست في ذلك المركز العربيّ الكبير، وكان للحيرة أسقف، اسمه هوشع. فأصبحت المدينة مركزًا لنشر المسيحيّة وبوجه خاصّ بين عرب الجزيرة والخليج الفارسيّ، بحكم موقعها الجغرافيّ، و. كان حيّان من قبيلة الحارث بن كعب، التي غالبًا ما اختُصر اسمها بـ «بَلْحَارِث»، وكانت حينذاك القبيلة المسيطرة في نجران. فلا بدّ أنّ حيّان وجد العديد من أبناء قبيلته مستقرّين في الحيرة، إلى جانب مجموعات قبليّة أخرى من الجنوب، أمثال التنوخ وأزد. وبما أنّ هؤلاء كانوا، على الغالب، قد اعتنقوا المسيحيّة، فقد أثّروا في قرار حيّان في هذا الشأن.

SHAHID, *Byzantium* (1989), p. 366-367.

أيضًا أنّ الحِيرَة لم تصبح مركزًا مونوفيزيًّا إلّا ابتداءً من السنة ٤٥٧. فلا بدّ أنّ مسيحيّة حيّان، التي أدخلها إلى نجران، هي المسيحيّة التي عمّت الشرق عقب المجمعَين المسكونيّين في القرن الرابع، ويمكن أن نسمّيها مسيحيّة نيقيا. أمّا أنّ النسطوريّة والمونوفيزيّة كانتا معروفتين في نجران، فهو أمر صحيح، ولكن في وقت لاحق. ولا شكّ أنّ المونوفيزيّة، مع الوقت، أصبحت العقيدة الرئيسيّة في نجران.

ج – ردود فعل ملوك حِمْيَر

عرفت نجران، بفضل موقعها الجغرافيّ، ازدهارًا كبيرًا، يقوم أساسًا على التجارة. وبحكم بعدها عن سلطة حِمْيَر المركزيّة، تمتّعت بنوع من الاستقلال الذاتيّ. بل اتّخذت طابع مدينة مستقلّة ودولة كنسيّة. فزيّنت العمارات الرائعة والكنائس الكبيرة مختلف أنحاء المدينة. ومن جهة أخرى، تسبّب انتشار المسيحيّة بخلق جوّ متوتّر بين المسيحيّين وجماعات اليهود[٥٩]، كما ذكرنا في ما تقدّم.

إنّ هذه العوامل مجتمعة، إضافة إلى احتلال الحبش قسمًا من شاطئ اليَمَن، والصراع بين الفرس والبيزنطيّين من أجل السيطرة على الجزيرة، وانتشار اليهوديّة في حِمْيَر، جعلت حكّام حِمْيَر يتّخذون موقفًا عدائيًّا من مسيحيّي نجران، إذ رأوا فيهم خطرًا يهدّد سلطتهم. لذا لم يتوانوا عن مضايقتهم واضطهادهم.

في كتاب أعمال عزقير، كما ذكرنا سابقًا، رواية عن استشهاد الكاهن عزقير. تبعًا لتلك الرواية، أُلقي عزقير في سجن بنجران، وفي أثناء اعتقاله، كان يزوره، بطريقة عجائبيّة، خمسون شابًّا من طالبي

---

(٥٩) ما يعزّز هذا الاحتمال هي قول حيصا أمام ذي نواس: «والدي أحرق مجمعكم في ما مضى» (راجع الحاشية ٥١ أعلاه). قولها يُظهر أنّ انتشار المسيحيّة المتزايد في نجران، حيث كان لليهود مجامع، أدّى إلى خلق توتّر بين الجماعتين، انتهى بأعمال تخريب وحرق طالت المجامع. فكان أن استجد يهود نجران بإخوتهم في العاصمة، فنتج من ذلك تدخّل شرحبيل يكْوف، الملك الحميريّ. راجع:
SHAHID, *Byzantium* (1980), p. 371.

العماد، فعمّدهم وهو في السجن. فاقتيد إلى صَفَار (= ظَفَار)، وأُحضر أمام الملك سَرَبْحيل دانكِف (= شرحبِيْل يكُوف)، ولكنّه أبى أن يجحد دينه. فأمر الملك، نزولًا عند نصيحة اليهود المحيطين به، بصلبه على محرقة في نجران، فخرج من تلك المحنة سالمًا. ولمّا أراد اليهود رجمه، سقطوا لوقتهم موتى وغطّاهم الدّود. وأخيرًا، سلّم أحدُ تلامذته، نزولًا عند أمره، حسامًا إلى سيّاف، فقطع هذا رأسه[٦٠].

لرواية عزقير أهمّيّة خاصّة لأنّها تتضمّن حوادث تاريخيّة أُضفي عليها طابع أسطوريّ. فالملك المذكور فيها هو شرحبِيْل يكُوف، والمدينة صَفَار هي ظَفَار، كما تبيّن نفوذ الحضور اليهوديّ في بلاط حِمْيَر[٦١].

لذا علينا أن نفترض أنّ عهد شرحبِيْل تميّز بإجراءات قاسية إزاء المسيحيّين، لعلّها أدّت إلى استشهاد بولس، أوّل أسقف مونوفيزيّ على نجران، حوالى السنة ٥٢٠، وبالتالي مبادرة الأسقف توما، فتدخّل النجاشيّ في المنطقة الساحليّة وظَفَار.

من المرجّح أن يكون بولس قد رُسم أسقفًا حوالىٰ السنة ٥٠٠، وبالتالي بقي مدّة طويلة على كرسيّه الأسقفيّ، وهذا يعلّل سبب شهرته[٦٢]، وتمكّنه من تنظيم كنيسته تنظيمًا دقيقًا أقلق سلطات حِمْيَر. فضلًا عن الأسقف، كان هنالك رؤساء مشايخ ورؤساء شمامسة ورؤساء شدايقة وأبناء العهد وبنات العهد[٦٣].

---

(٦٠) في نهاية الرواية إشارة إلى أنّ ٣٨ شخصًا استُشهدوا مع عزقير، ومنهم مترويولیت وكهنة وشمامسة ورهبان... ولكنّ نهاية الرواية تناقض بدايتها، حيث يبدو عزقير مبشّر نجران الوحيد. فلا ريب في أنّ خاتمة الرواية إضافة لاحقة. راجع:
RYCKMANS, *Christianisme en Arabie* (1964), p. 442.

(٦١) هنالك معلومات أخرى في تلك الرواية تصف أوضاع الجنوب وصفًا جيّدًا. ففيها ذكر لقبيلتين هما ذا - سِحلّان وذا - قِيفان، هما، في الواقع، ذو - ثعلبان وذو - قيفان. وفيها ذكر لناحية وَسْحو، حيث توقّف عزقير وهو في طريقه إلى ظفار، وهي مدينة وسحًا/وسخًا، إلخ. راجع:
RYCKMANS, *Christianisme en Arabie* (1964), p 443.

(٦٢) MOBERG, *Himyarites* (1924), p. LI.

(٦٣) راجع لائحة المحترمات في:
=

حروب ذي نواس

يحيط الغموض بالطريقة التي توصّل فيها ذو نواس إلى الحكم. وفقًا لبعض التقاليد، كان ذو نواس من أحد أفراد الأسرة الحِمْيَريّة الحاكمة، تخلّص من ملك غاصب اسمه ذو شَنَاتِر وخلفه. وثمّة رواية أخرى تفيد أنّ ذا نواس ارتقى العرش عقب موت ملك أقامه الحبش، وكان ذلك في فصل الشتاء الذي كانت تصعب الاتّصالات فيه مع أكسوم[٦٤].

ولا شكّ أنّ تهوّد ذو نواس، الذي ارتقى الحكم في السنة ٥٢٢، ألّف تواصلًا لسيطرة اليهوديّة المستمرّة على بلاط حِمْيَر. ويميل الباحثون المعاصرون إلى تفسير سياسة ذي نواس كمحاولة لإنشاء دولة ذات لون دينيّ واحد، هو اليهوديّة، على غرار عدوّيه التقليديّين بيزنطيّة وأكسوم[٦٥]. ولكي يحقّق هدفه، هاجم أوّلًا المناطق التي يحتلّها الحبش، أي المنطقة الساحليّة لمرفأ المُخا ومنطقة ظَفَار. ويتّضح من النقوش التي وصلتنا عن حملة ذي نواس[٦٦] أنّ تلك المنطقة عوملت على أنّها أرض عدوّة. إذ قُتل ١٤ ألفًا من السكّان بحدّ السيف، وأسر منهم ١١ ألفًا، ودُمّرت كنيسة المُخا وظَفَار، وأُهلك جنود النجاشيّ[٦٧].

والمثير في هذا المضمار هو أنّ الروايات والسير لا تحيي ذكرى ضحايا ذلك الهجوم، بل شهداء نجران فقط. وهذا يعطي الانطباع بأنّ ما حدث قد اعتُبر وكأنّه حرب بين بلدين. وفي كتاب أعمال عرقير ما يدعم

MOBERG, *Himyarites* (1924), p. CI-CIV; cf. SHAHID, *Byzantium* (1989), p. 376 n. 186. =

(٦٤) تعود الرواية الأولى إلى التقاليد العربيّة، والرواية الثانية إلى رسالة سمعان البيت عرشميّ المذكورة سابقًا. مهما يكن من أمر، فهنالك تشابه بين الروايتين. راجع: AIGRAIN, *Arabie* (1922), col. 1243-1244.

(٦٥) TRIMINGHAM, *Christianity* (1990), p. 289.

(٦٦) RYCKMANS, *Inscriptions* (1953), p. 333-336.

(٦٧) من الصعب أن نعتبر عمل ذي نواس تحريرًا لأرض يحتلّها عدوّ. فعلى الأرجح أنّ سكّان تلك المنطقة، من حميريّين وأجانب، تحوّلوا في نظر الملك إلى أعداء، لا سيّما وأنّ الوجود الحبشي فيها تعدّى أكثر من قرن. راجع: RYCKMANS, *Christianisme en Arabie* (1964), p. 424-425.

هذا الافتراض. فتبعًا لرواية وردت فيه، قرّر الملك شنّ الحرب على جنود النجاشيّ الموجودين في البلاد، وبعد أن قضى عليهم قرّر تدمير مدينة نجران المسيحيّة وكنائسها[٦٨]. لذا تفرّق الرواية بين الحرب على الحبش واضطهاد مسيحيّي نجران.

إضطهاد نجران

من المحتمل أن يكون ذو نواس قد استغلّ حوادث عنف وقعت في نجران واستهدفت اليهود لكي يبدأ هجومه على المدينة[٦٩]. أمّا نجران، فيبدو أنّها قاومته، وبدت منيعة بحيث إنّه لجأ إلى الحيلة. فوعد سكّانها بالأمان والعفو إن استسلموا، ففعلوا. ولكنّه ما أن دخلها حتّى ارتكب مجازر رهيبة. فقد أمر جنوده بحفر حفرٍ كبيرة في جوار المدينة ملؤها بالوقود وأضرموا فيها النار، وراحوا يلقون فيها كلّ مَن أبى أن ينكر دينه ويعتنق اليهوديّة، فوصل عدد الضحايا إلى الآلاف، وكان من بينهم كهنة ورهبان من المناطق المجاورة والعذارى المكرّسات ونساء كهلات ترهّبن. أمّا وجهاء المدينة وأميرهم، واسمه الحارث[٧٠] (أطلق بعض

---

(٦٨) يرِد في كتاب الحميريّين أنّ ذا نواس دمّر كنائس مأرب وحضرموت، وهما مدينتان عرفتا المسيحيّة، في الغالب، انطلاقًا من نجران، بسبب موقعها الجغرافيّ القريب منهما. راجع:

MOBERG, *Himyarites* (1924), p. 5b.

من جهة أخرى، يوفّر النقشان Ry 507 & 508 معلومات عن المنازعات بين الأكسوميّين والحميريّين في بداية القرن السادس. وتشير تلك المعلومات إلى أنّ المنازعات بدأت فعليًّا في السنة ٥١٧ واستمرّت حتّى السنة ٥٢٥. أمّا ذو نواس، فقد أحدث تغييرًا في الصراع، إذ نجح في السيطرة على الأقسام التي احتلّها الحبش سابقًا، قبل أن يعود النجاشيّ ويسترجعها السنة ٥٢٥.

Cf. RYCKMANS, *Inscriptions* (1953), p. 331-336.

(٦٩) تبعًا لابن الكلبيّ، اتّخذ ذو نواس من موت اثنين من اليهود على يد النجرانيّين حجّة ليباشر هجومه على المدينة. راجع:

RABBATH, *Orient chrétien* (1989), p. 174.

(٧٠) يبدو أنّ اسم «الحارث»، الذي يرد أكثر من مرّة في كتاب الحميريّين، هو اسم القبيلة أكثر منه اسم شخص. وقد سبق وذكرنا أنّ قبيلة الحارث بن كعب، أو «بَلْحَارِث»، كانت نجرانيّة. (راجع الحاشية رقم ٥٨). من جهة أخرى، يرى بعضهم أنّ هنا «الحارث» أو «سيّد» نجران، والنجرانيّين عامّة، كان يفضّلون الحبش على سلطة=

الكتّاب العرب عليه اسم عبدالله ابن الثامر)، وكان رجلًا عُرف عنه تقواه وحكمته، فقيّدوا. ثمّ جدّ ذو نواس في طلب أسقف المدينة، بولس، فأُعلم بأنّه توفّي منذ زمن قريب. فأمر بأن تُخرج عظامه وتُحرق وتُنثر رمادًا في الريح. أمّا الحارث ورفاقه، فاقتيدوا إلى مكان فيه جدول صغير بجوار المدينة وهنالك ضُربت أعناقهم. وعندما أظهرت زوجاتهنّ الثبات بالإيمان لقين المصير نفسه. وثمّة زوجة أحد الوجهاء، اسمها رُوما، أُحضرت مع ابنتَيها إلى ذي نواس. فأُخذ هذا بجمالهنّ. بيد أنّ ثباتهنّ بالإيمان أفقده صوابه، فأمر بذبح الفتاتين أمام أمّهما التي أُكرهت على أن تذوق دمهما، ثمّ قُتلت هي أيضًا. وبعد أن ارتكب مأساة نجران، عاد وجيشه إلى صنعاء.

يبقى أن نلفت النظر إلى موضوع ذي شأن في هذا السياق. فركمانز[٧١] يشير إلى أنّه في رواية كتاب الحِمْيَريّين (ص ١٣أ) يُناشد مسروق (= ذو نواس) مسيحيّي نجران أن ينكروا ألوهيّة المسيح ويعلنوا أنّه كان مجرّد إنسان. وفي كتاب أعمال عزقير، يُدعى المسيحيّون مرّتين إلى الاعتراف بأنّ يسوع كان مجرّد إنسان، ويتابع النصّ: «أوَ تكونون أنتم أكثر ذكاءً من هؤلاء اليونانيّين المقيمين معنا ويسمّون أنفسهم نسطوريّين؟». وفي الكتاب نفسه، نجد أنّ النساطرة الذين كانوا يحيطون بمنذر الحِيرَة، الذي أرسل إليه ذو نواس خبر اضطهاده المسيحيّين طالبًا إليه أن يحذو حذوه[٧٢]، دعوا الملك إلى التجاوب مع الدعوة،

=ذي نواس، وبالتالي كان انتقام الملك الحِمْيريّ، راجع:
RABBATH, *Orient chrétien* (1989), p. 174 n. 104.

(٧١) RYCKMANS, *Christianisme en Arabie* (1964), p. 451-452.

(٧٢) تبعًا لبعض المصادر، سارع ذو نواس إلى إبلاغ حليفَيه ملكَ الفرس وملكَ الحيرة بما قام به، وطلب إليهما التخلّص من المسيحيّين التابعين لهما. وقد وصل مبعوثو ذي نواس إلى هُفْهُف (الحسا)، بالقرب من الخليج الفارسيّ، حيث كان المنذر مجتمعًا ببعثة أرسلها الإمبراطور يُسطيانُس، تتألّف من سرجيوس، أسقف الرُّصافة، والكاهن أبرامُس ورجال دين آخرين وعلمانيّين، كما كان بينهم سمعان المرتونيزيّ، أسقف بيت حرشام ببلاد فارس. وما أن سمع الحاضرون خبر المجزرة حتّى أصيبوا بالذهول. وقد أحيط مرتونيزيّو سورية والإمبراطور=

وأعلنوا هم أيضًا أنّ مَن صلبه اليهود كان إنسانًا لا الله. ويخلص ركمانز إلى الاستنتاج أنّ اضطهاد نجران استهدف أساسًا المونوفيزيين، لا النسطوريين(٧٣).

د - التدخّل الحبشيّ

تبعًا لابن هشام(٧٤)، وصل نجرانيّ، نجا من المجزرة، إلى بلاط ملك أكسوم، وأبلغ الملك، الذي كان حينذاك أليسباس Elesbaas أو كالِب، أخبار المجزرة، فصُعق ممّا بلغه، ووطّد العزم على الانتقام من ذي نواس.

فقد عبرت حملة عسكريّة مسيحيّة حبشيّة بابَ المندب بمباركة الإمبراطوريّة البيزنطيّة. وهزم الحبشُ ملكَ حِمْيَر المتهوّد، الذي قضى، بحسب الأسطورة، انتحارًا في البحر، وحوّلوا البلاد إلى محميّة حبشيّة(٧٥).

=البيزنطيّ علمًا بما كان يجري. راجع:
AIGRAIN, *Arabie* (1922), col. 1244.

(٧٣) يعتمد ركمانز أيضًا على تحليل هرشبرغ الذي ميّز بين مصدرين مختلفين في التقاليد المتّصلة بالاضطهاد، مصدر نسطوريّ يولي اهتمامه بدخول المسيحيّة إلى نجران وشهدائها الأوائل، ولا يولي اضطهاد نجران أهمّيّة كبيرة - وهو مصدر استقت منه التقاليد العربيّة - ومصدر مونوفيزيّ يركّز على الاضطهاد وشهدائه. راجع:
RYCKMANS, *Christianisme en Arabie* (1964), p. 449-450.

(٧٤) «قال بن إسحاق: وأقبلت منهم رجل من سَبَأ يُقال له دَوْس ذو ثعلبان على فرس له، فسلك الرّمل فأعجزهم، فمضى على وجهه ذلك حتّى أتى قيصر الروم فاستصرخه على ذي نواس وجنوده، وأخبره بما بلغ منهم. فقال له: بَعُدَت بلادُك منّا، ولكنّي سأكتب لك إلى ملك الحبشة، فإنّه على هذا الدين، وهو أقرب إلى بلادك. فكتب إليه يأمره بنصره والطلب بثأره. فقدم دَوْسٌ على النجاشيّ بكتاب قيصر، فبعث معه سبعين ألفًا من الحبشة، وأمر عليهم رجلًا يُقال له أرياط»، ابن هشام، السيرة، ج ١، ص ٣٥-٣٦.

(٧٥) بلغ عدد أفراد الجيش الحبشيّ الذي اجتاح حِمْيَر ٧٠ ألفًا، مزوّدين بسفن بيزنطيّة. عمد الحبش، بغية توطيد سيطرتهم على نجران واليمن، إلى ردم أسوار المدن، وإخضاع السكّان لنظام صارم. راجع:
RABBATH, *Orient chrétien* (1939), p. 174-175.

يُذكر في كتاب الحِمْيَريّين[٧٦] أنّ النجاشيّ كالب أتى بكهنة من الحبشة ساعدوا في إعادة تأسيس المسيحيّة. ويفيد الكتاب نفسه أنّ النجاشيّ أرسل خبر انتصاره إلى بطريرك الإسكندريّة المونوفيزيّ، طيموتاوس، الذي رسم أسقفًا لوقته وأرسله إلى الجنوب[٧٧].

أمّا على الصعيد السياسيّ، فقد تحوّلت البلاد كليًّا إلى محميّة حبشيّة، وعيّن النجاشيّ نائبًا له اسمه إزيميفاوس Esimiphaios[٧٨]، كان ينفّذ سياسته. وعلى عهد هذا، عاود البيزنطيّون انفتاحهم على الجنوب، فأرسل الإمبراطور يُسطينانُس بعثة إلى اليَمَن بغية تنظيم تجارة الحرير عن طريق اليَمَن والحبشة، وتحويله بالتالي عن خطوط الفرس. وقد وعد إيزيميفاوس والنجاشيّ البعثةَ بالتعاون. غير أنّ احتكار الفرس كلّ الحرير الذي كانت تنتجه الهند حال دون نجاح المحاولة البيزنطيّة.

ثورة أبْرَهة

دام الاحتلال الحبشيّ حوالى نصف قرن، تخلّلته ثورة أبرهة، وهو قائد إثيوبيّ صاحب ثروة، أقدم على قتل الوالي الحِمْيَريّ الذي عيّنه نجاشيّ الحبشة، وأعلن استقلاله[٧٩]. وترتبط باسم أبرهة إنجازات

---

(٧٦) MOBERG, *Himyarites* (1924), p. 56a.

(٧٧) ظنّ كثيرون، أمثال إغران (AIGRAIN, *Arabie* (1922), col. 1246)، أنّ الأسقف المذكور هو غريغنتُيس، الذي نُسب إليه مؤلَّفان: جدل مع حِبْران (يهوديّ)، وشرائع الحِميريّين. غير أنّ دراسة حديثة بيّنت أنّ المؤلّفين منحولين، بل وحتّى وجود غريغنتُيس نفسه مُختلق، راجع:
GREGOIRE, «Mahomet et le Monophysisme», in: *Mélanges Diehl*, (Paris: 1930), p. 115; cf. RYCKMANS, *Christianisme en Arabie* (1964), p. 452.

(٧٨) أو سُمْيَفَع أشْوَع من عائلة ذي يزن. وفي الواقع، اعترض بعضهم على المماثلة بين إزيميفاوس وسُمْيَفَع، بسبب افتقارنا إلى معطيات وافية تجيز لنا أن نقوم بمثل هكذا مماثلة. غير أنّ بعض المعطيات غير المباشرة متوفّرة في هذا الشأن. فكلاهما عاشا في الزمن نفسه، وينتميان إلى العائلة نفسها. راجع:
LOUNDINE, *Rapports* (1974), p. 319 n. 23.

(٧٩) أرسل كالب جيشًا على رأسه أحد أقاربه (أرياط) بهدف قمع التمرّد. غير أنّ أبرهة تمكّن من جذب الجيش إلى جانبه، إذ صوّر له أنّ البلاد بلاد مبهجة خلّابة، تستوعب الجميع. قُتل القائد الحبشيّ. والتقليد العربيّ يفيد أنّ ذلك حصل في قتال فرديّ،=

عديدة، أهمّها إنهاء ترميم سدّ مَأرِب[٨٠]، الذي انهار مرّة أخرى، وتشييد كنيسة القَليس في صنعاء[٨١].

وفي الواقع، أتت إنجازات أبرهة في وقت اشتدّ فيه التنافس بين البيزنطيّين والفرس للسيطرة على الجزيرة. أمّا أبرهة فقد آثر الوقوف إلى جانب البيزنطيّين، حلفائه التقليديّين. ولربّما لحملته على عرب معادّ، أنصار اللخميّين، وحملته على مكّة[٨٢]، التي انتهت بهزيمة مريرة[٨٣]، علاقة بسياسة بيزنطيّة القاضية بإضعاف نفوذ الفرس في الجزيرة[٨٤].

=على أثر خيانة أحد العبيد، وبعد أن قطع أنف أبرهة بضربة سيف، لذا أُطلق عليه اسم «الأشرم». فبقي أبرهة صاحب جيشَين، سيّد اليمن الوحيد، وأبى أن يدفع الجزية لنجاشيّ الحبشة كالب، إلّا بعد أن ارتقى العرش خليفة هذا. راجع: ابن هشام، السيرة، ج ١، ص ٢٨-٢٩، والطبري، تاريخ، ج ١، ص ٩٣٠-٩٣١.

(٨٠) إستغلّ أبرهة حادث انهيار السدّ ليرتّد نفوذه على المملكة. ذلك بأنّ تمرّدًا قاده المدعوّ يزيد بن كبشات أخذ يتهدّد نفوذ أبرهة، لا سيّما وأنّ يزيد قد نجح، على الأرجح، في اجتذاب أنصار له في شرق اليمن. فجاء خبر انهيار السدّ لينهي التمرّد، إذ سارع الجميع إلى المساهمة في إعادة الترميم. وقد حصل أبرهة في أعقاب ذلك على تهانئ الملوك الذين أوفدوا إليه مبعوثين لهذا الغرض. فحضر إلى مأرب، في الوقت نفسه، ممثّلين عن إمبراطور بيزنطية يُسطيانُس، وملك الفرس خسرو أنشروان، ونجاشيّ أكسوم رهيس زبيان، ومنذر الحيرة، والغسّانيّ الحارث بن جبلة. راجع:

AIGRAIN, *Arabie* (1922), col. 1247-1248.

(٨١) من الممكن أن يكون أبرهة قد حصل على عون الإمبراطور البيزنطيّ في عمليّة تشييد القليس، ولربّما ساهم الإمبراطور أيضًا في إنشاء كنائس نجران. راجع:
LAMMENS, «La république marchande de la Mecque», in: *Bulletin de l'Institut égyptien*, (1910), Ve série, t. IV, p. 51; cf. AIGRAIN, *Arabie* (1922), col. 1250.

(٨٢) لربّما أراد أبرهة من خلال تشييده كنيسة صنعاء أن يحوّل موسم الحجّ من مكّة حيث الحجر الأسود، إلى تلك الكنيسة، فيستقطب عرب الجزيرة. فكان أن قام أحد المكيّين بتدنيس الكنيسة ملقيًا فيها مهملات. فأقسم أبرهة حينذاك أن يدمّر الكعبة. راجع:

RABBATH, *Orient chrétien* (1989), p. 175.

(٨٣) لعلّ في سورة القرآن ١٠٥ إشارة إلى هذه الواقعة. إضافة إلى ذلك، تزخر التقاليد العربيّة بروايات أسطوريّة حول تلك الحملة. راجع على سبيل المثال: الطبريّ، تاريخ، ج ١، ص ٢٠٢-٢١٨.

(٨٤) من الممكن أن يكون اليهود، الذين لاقوا هزيمة شنعاء في الجنوب، قد وجّهوا أنظارهم صوب بلاد فارس، قبلى يهود الحجاز لأبرهة، في تلك الظروف،=

ومن الجديد على صعيد الكنيسة في زمن أبراهة، أنّ المونوفيزيّة في الجنوب اصطبغت باليوليانيّة[٨٥]. فقد ورد في تاريخ سِيرْت[٨٦] أنّه في ظلّ حكم يُسطنيانُس، غادر المونوفيزيّون الأراضي البيزنطيّة ولجأوا إلى الحِيرَة. غير أنّهم دخلوا هنالك في نزاع مع النساطرة وجاثُليقهم شيلا Šila. ولمّا لم يشعروا بالأمان، بعدما حرّض يُسطنيانُس المنذر على طردهم، لجأوا إلى نجران، حيث روّجوا عقائد يوليانُس. ويرد في تاريخ ميخائيل السريانيّ أنّ اليوليانيّة انتشرت بسرعة في بلاد الكوشيّين والحِمْيَريّين[٨٧].

وعقب وفاة الأسقف الذي أرسله بطريرك الإسكندريّة إلى الجنوب، رفض أبراهة استقبال أسقفًا من الإسكندريّة، بعد أن قبل الكرسيّ البطريركيّ هنالك بالعقيدة الخلقيدونيّة. وقد فشلت عدّة محاولات لدى يُسطنيانُس بغية الحصول على أسقف مناهض للمجمع الخلقيدونيّ. وأخيرًا، بعد شغور الكرسيّ طوال ٢٠ سنة، اجتمع الكهنة ليكرّسوا أسقفًا. غير أنّ تلك الرسامة لم تحصل على اعتراف أحد، فكان ذلك عنصر خلاف جديد، سهّل نشر تعاليم يوليانُس وشيع الملكيصادقيّين[٨٨]. وتبعًا لميخائيل السريانيّ[٨٩]، كان هنالك راهب يوليانيّ اسمه سرجيوس

=خطرًا، فكانت الحملة على مكّة والمدينة. على أنّ بعضهم يرى سببًا إضافيًا لحملة أبراهة، وهو أنّ حملته، التي قام بها في السنة ٥٤٧، تتزامن مع الحروب التي اندلعت بين اللخميّين والغساسنة في السنة ٥٤٦ واستمرّت حتّى السنة ٥٥٤. فلعلّ أبراهة استفاد من المناسبة ليحاول أن يعيد تأسيس مملكة الكندة التي خسرت نفوذها في شمال الجزيرة إبّان الثلاثينات من القرن السادس. راجع: LOUNDINE, *Rapports* (1974), p. 319-320.

(٨٥) راجع في شأن هذه البدعة: حموي، معجم الإيمان (١٩٩٤)، ص ٥٥٩.

(٨٦) SCHER, *Histoire nestorienne*, t. VII, p. 143 ss.

(٨٧) *Chronique de Michel le Syrien*, trad. CHABOT, 2, p. 251; Cf. E. HONIGMANN, *Evêques et évêchés monophysites d'Asie antérieure*, Louvain 1951, p. 127-131; RYCKMANS, *Christianisme en Arabie* (1964), p. 452-453.

(٨٨) راجع في شأن هذه الشيع حموي: معجم الإيمان (١٩٩٤)، ص ٤٨٢.

(٨٩) Jean d'EPHESE, dans ASSEMANI, *Bibliotheca Orientalis*, I, p. 384-385; Michel le Syrien, *Chronique*, éd. CHABOT, 2, p. 185; AIGRAIN, *Arabie* (1922), col. 1246.

عُيّن أسقفًا على الحِمْيَريّين، وبقي في منصبه ثلاث سنوات، ثمّ خلفه رجل اسمه موسى.

هـ - التدخّل الفارسيّ

غير أنّ الأوضاع عادة لتنقلب في الجنوب في الربع الأخير من القرن السادس، عندما استنجد قادة جنوبيّون بالفُرْس، في سبيل التحرّر من الحبش[٩٠]. فهزم جيش خسرو الساسانيّ الحبش وأخرجهم من الجنوب، وأعطى أمراء محلّيّين، ولا سيّما من عائلة ذي يزن، نوعًا من الاستقلال في إدارة شؤون بلادهم. دام الاحتلال الفارسيّ حتّى الفتح الإسلاميّ[٩١].

افترض بعضهم[٩٢] أنّ مسيحيّي الجزيرة، ولا سيّما الجنوبيّون منهم، تحوّلوا إلى النسطوريّة في أعقاب الاحتلال الفارسيّ، الذي حصل بعد السنة ٥٧٠ بزمن قليل. وثمّة مَن يعتقد[٩٣]، في هذا السياق، أنّ ما تبقّى من مونوفيزيّين في نجران تركوا البلاد عند الاحتلال الفارسيّ. لذا، يكون المسيحيّون الذين نفاهم الخليفة عمر من نجران إلى الكوفة في العراق من النساطرة. غير أنّ هنالك ما يدعو إلى التحفّظ في هذا الشأن. فالجاثُليق النسطوريّ طيموتاوس (٧٨٠-٨٢٣)، الذي عيّن أسقفًا على هؤلاء المسيحيّين، وجدهم متأثّرين بهرطقة يوليانس[٩٤]. ففي الغالب،

---

(٩٠) كان في طليعة اليمنيّين المستنجدين بالفرس سيف بن ذي يزن. وقد استغلّ الفرسُ تلك الفرصة الذهبيّة ليفرضوا على حكومة مسيحيّة مرتبطة ببيزنطية. فجرّد خسرو الأوّل حملة عسكريّة أوكل قيادتها إلى مادي كارِب ابن سيف، الذي نجح في طرد الحبش بمعاونة الحِمْيَريّين. راجع:

RABBATH, *Orient chrétien* (1989), p. 175.

(٩١) كان باذان آخر حاكم على اليَمَن عيّنه خسرو الثاني. وبعد وفاة خسرو سنة ٦٢٨، اعتنق باذان الإسلام.

(٩٢) TOR ANDRAE, *Les origines de l'Islam et le christianisme*, trad. par Jules ROCHE («Initiation à l'Islam», 8) (Paris: 1955), p. 24-29; cf. RYCKMANS, *Christianisme en Arabie* (1964), p. 453 n. 202.

(٩٣) HIRSCHBERG, *Nestorian Sources* (1939-1949), p. 335.

(٩٤) RYCKMANS, *Christianisme en Arabie* (1964), p. 453.

بقيت المونوفيزيّة موجودة في الجنوب في أثناء الاحتلال الفارسيّ وبعده.

الخاتمة

يُلاحظ، من خلال هذه الدراسة، أنّ نواحيَ عديدة من تاريخ المسيحيّة في الجنوب لا تزال بحاجة إلى أبحاث جادّة لإجلاء الغموض عنها. ولكن يتّضح أيضًا أنّ النزاعات السياسيّة والعسكريّة بين القوى المسيطرة على الشرق حينذاك، أي بيزنطيّة وأكسوم من جهة، وفارس من جهة ثانية، أثّرت في نشر الإيمان المسيحيّ وانحصاره على السواء. يُضاف إلى ذلك عامل رئيسيّ أضعف المسيحيّة هو انقسام المسيحيّين في الشرق حول مسائل تتّصل بالعقيدة، الأمر الذي حوّلهم إلى شيع متنافسة شتّت قواهم.

لقد برز في الجنوب عدّة ضروب من المسيحيّة: في أعقاب مهمّة تيوفيلُس، تأسّست بضع كنائس أريوسيّة في مملكة حِمْيَر كانت في خدمة التجّار البيزنطيّين، لم تنجح في جذب العديد من السكّان المحلّيّين. وفي المناطق التي سيطر عليها الحبش، انتشرت المونوفيزيّة الإثيوبيّة، التي كانت في الأساس مرتبطة بكنيسة الإسكندريّة، والتي أصبح لها مع الوقت مزاياها الخاصّة المتأثّرة إلى حدّ كبير بالمونوفيزيّة السريانيّة، وذلك في أعقاب نشاط مجموعة من الرهبان السريان الذين وصلوا إلى أكسوم حوالى السنة ٤٨٠. غير أنّ أتباع المونوفيزيّة في الجنوب كانوا أساسًا من الحبش والتجّار الأجانب وبعض القبائل اليمنيّة المتعاملة مع البيزنطيّين وأهل الحبشة، مثل قبيلة الأشْعَر وقبيلة فرسان. لذا نظرت سلطات حِمْيَر إليهم نظرة عدائيّة، تُرجمت على عهد ذي نواس حروبًا ضروسة.

فضلًا عن ذلك، كان هنالك وجود نسطوريّ، يقلّ أهمّيّة عن الوجود المونوفيزيّ، في بعض مدن حِمْيَر، ولا سيّما في المرافئ. وبالرغم من أنّ النسطوريّة كانت مقبولة أكثر من المونوفيزيّة عند سلطات حِمْيَر المتهوّدة لأسباب عقائديّة، فهي لم تلاقِ نجاحًا بين السكّان المحلّيّين، ولا حتّى

في ظلّ الاحتلال الفارسيّ الذي شجّع تلك البدعة.

أمّا في نجران، فيمكن القول إنّ المسيحيّة المونوفيزيّة فيها، المرتبطة ارتباطًا وثيقًا بمونوفيزيّة الحِيرة، انتشرت بين سكّان المدينة وبلغت درجة كبيرة من النموّ والقوّة، حتّى إنّها استمرّت بعد الفتح الإسلاميّ لمدّة من الزمن لا تقلّ عن متّي سنة[٩٥].

(٩٥) يُذكر أنّ توما التَرْغَيّ كان أسقفًا على اليمن وصنعاء في السنة ٨٣٥م، كما تعلم بأمر وجود مسيحيّ في نجران في السنة ٨٩٧م. فلا شكّ أنّ قرار الخليفة عمر إفراغ الجزيرة من المسيحيّين لم يُطبّق على النجرانيّين. راجع:
TRIMINGHAM, *Christianity* (1990), p. 307 & n. 58-59.

صدر حديثًا عن دار المشرق

للأب لويس شيخو